أثر الفلسفة على علم الكلام

"تكليف أعد استكمالًا لمتطلبات مادة نقد علم الكلام"

إعداد:

تهاني بنت عبد الله الظبي

العام الجامعي

١٤٣٩هـ-١٤٤٠هـ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فالله ﷻ وضع أصول دينه وفروعه في كتابه الكريم، وبعث نبيه محمدًا ﷺ لتبيين ذلك للناس، وإخراجهم من غيابات الجهل إلى نور الإسلام، كل ذلك بأسلوبٍ بلاغيٍ لطيفٍ رصينٍ، يفهمه عامة الناس قبل علمائهم؛ وليكون ذلك حجةً على من سمعه، وبعد انقضاء عصر نور النبوة والصحابة، أبى شرذمةٌ من الناس إلا أن ينحرف عن جادة إيضاح طريق الحق، ويستعمل في تقريره للمسائل التي بصدد الدفاع عنها مصطلحات لم تكن معهودةً في عصر النبي ﷺ ولا في العصور التي تليه، فاستخدم هؤلاء هذه المصطلحات والتشقيقات، ظنًا منهم أنَّهم بفعلهم هذا ينصرون العقيدة، ويدحضون عنها ما ليس فيها، ولم يعلموا أنَّهم وقعوا في الوحل ولم يستطيعوا الخروج منه.

ولعلنا بين ثنايا هذا البحث-المختصر-نسلط الضوء على تأثر المتكلمين بالفلاسفة حول مسألة العقائد، واستعارتهم لمصطلحاتهم في تقرير عقائدهم، مما كان له أكبر الأثر في الانحراف عن العقيدة الإسلامية الصحيحة.

أهمية وأسباب اختيار الموضوع:

١- أنَّ المتكلمين نظير تأثرهم بمقولات الفلاسفة أدخلوا في العقيدة الإسلامية ما ليس منها، ولبَّسوا على الناس عقيدتهم الصافية بأقوالهم الخاوية.

٢-أنَّ الفلسفة اليونانية هي الأكثر تأثيرًا في علم الكلام، وناتج قولها هو القول على الله بغير علمٍ، فكون أنها تُؤثِّر بأقاويلها على فرق إسلامية، ويعني ذلك هدم الإسلام من الداخل وإن كان ظاهر حديث هذه الفرق الدفاع عن الإسلام وعن عقائده.

حدود البحث:

خلال اطلاعي على الأثر الفلسفي في العلم الكلامي وجدت أن المتكلمين تأثروا بالفلاسفة من عدة نواحي:

أولًا: تأثرهم بالفلاسفة في الطبيعيات.

ثانيًا: تأثرهم بالفلاسفة في لواحق الجسم الطبيعي.

ثالثًا: تأثرهم بالفلاسفة في مجال العقائد.

ولأنه لا يمكن استيفاء جميع هذه المسائل في هذه البحث المختصر فقد آثرت أن اكتفي بتسليط الضوء على تأثير الفلسفة على المتكلمين في مجال العقائد، لعلنا نوفق في عرض الفكرة بوضوحٍ؛ لتصبح حدود البحث:

الموضوعية: أثر الفلسفة على فكر المتكلمين في مسائل العقيدة.

الدراسات السابقة:

شمر الباحثون في التنقيب عن الأثر الفلسفي في علم الكلام، وطرحت عدة مؤلفات ورسائل في هذا الموضوع، واطلعت على عناوين عدة في هذا ،المجال لكن واجهت صعوبة في الاطلاع عليها إلَّا أنني وقفت على جهد مميز في هذا الصدد وهو:

-أثر الفلسفة اليونانية في علم الكلام الإسلامي حتى القرن السادس الهجري، د. محمود محمد نفيسة، دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ.

وهذه الرسالة هي أطروحة دكتوراه بقسم الفلسفة في جامعة القاهرة، تناول فيها الباحث الأثر اليوناني على المتكلمين من جوانب عدة تشمل الالهيات والطبيعيات.

وسأقتصر في بحثي هذا بمشيئة الله على تأثير الفلسفة على علم الكلام في مجال العقائد.

منهجي في البحث:

١- الاطلاع على الكتب التي تحدثت عن الأثر الفلسفي في علم الكلام وكتب الفلسفة والمتكلمين، واستنباط الأثر الفلسفي على المتكلمين في مسائل الاعتقاد.

٢- عرض أقوال المتكلمين في مسائل العقيدة التي تأثروا بها في منهج الفلاسفة.

٣-نقد أقوال وأدلة المتكلمين في مسائل العقيدة على ضوء منهج أهل السنة والجماعة.

٤- لم أترجم للأعلام الوارد ذكرهم في هذا البحث.

٥- ما أذكره من بيانات في قائمة المراجع هو ما وجدته على صفحة غلافه.

٦- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من السور الكريمة.

٧-اكتفيت بذكر اسم الكتاب والمؤلف ورقم الصفحة في توثيق المعلومة في الهامش، وأوردت بينات المصدر كاملة في قائمة المراجع والمصادر.

تقسيم البحث:

التمهيد ويشتمل على: التعريف بمصطلحات عنوان البحث:

أولًا: التعريف بالفلسفة.

ثانيًا: التعريف بعلم الكلام.

المبحث الأول: لمحة تاريخية بين الفلسفة وعلم الكلام:

المطلب الأول: الفرق بين الفلسفة وعلم الكلام.

المطلب الثاني: عوامل تأثير الفلسفة في علم الكلام وظهور علم الكلام الفلسفي.

المبحث الثاني: أثر الفلسفة على المتكلمين في مجال العقائد:

المطلب الأول: أهم المسائل الاعتقادية عند المتكلمين وتأثير الفلسفة فيها.

المطلب الثاني: نقد أدلة المتكلمين في مسائل الاعتقاد.

الخاتمة وتشتمل على:

-النتائج.

-التوصيات.

المصادر والمراجع.

فهرس محتويات البحث.

التمهيد

أولًا: التعريف بالفلسفة:

الفلسفة كلمة متشعبة الجوانب، متباينة التعريف، قلما نجد اتفاقًا بين الباحثين في الفلسفة على تعريفها، نظرًا لأنَّ تعريفها يكون بحسب المدرسة التي تنتمي إليه هذه الفلسفة، وقد بين ذلك د.حسين علي حيث قال: "حين نشرع في تعريف الفلسفة سرعان ما تعترضنا الصعوبات؛ ذلك لأنَّ الفلسفة هي عملية أو نشاط أكثر من كونها موضوعًا أو بناءً للمعرفة، وتعريف النشاط أصعب دائمًا من تعريف الكيان، أو الشيء المحدد المعالم"(١).

فإذا لم يكن هناك اتفاق في تحديد تعريف للفلسفة فلعنا أن نستنبط ذلك من خلال تعريفها اللغوي، ففي لسان العرب ترد كلمة الفلسفة بأنَّها: "الحكمة"(٢).

وتتفق جل معاجم اللغة على أنَّ الفلسفة لغة: يراد بها الحكمة، فنخرج من ذلك بأنَّ الفلسفة بمعناها الاصطلاحي العام هي: طلب الحكمة، وإعمال العقل في جلبها، مع اختلاف معنى الحكمة باختلاف الأشخاص والمذاهب والعصور.

فنجد أنَّ فلسفة أحدهم تكون بالطبيعيات، وآخر بالميتافيزيقا، وآخر بالأخلاق، وغيره بالرياضيات، فتختلف الفلسفة (الحكمة) باختلاف مشاربهم، غير أنَّ الفلاسفة أنفسهم مختلفون كذلك بالمراد بالحكمة بناءً على ما بيناه، فكل منهم يعرفها بناءً على فلسفته هو، ونظرته للكون، والإنسان، والحياة؛ لذلك اقتصرنا في تعريفنا لها على أنَّ المراد بها طلب الحكمة دون إسهاب في ذكر ما عرفه العاملون في هذا المجال؛ لأنَّ الحكمة كلمة جامعة تجمع كل ما كان عليه الفلاسفة من الطلب والتقصي في جلبها بالقديم والحديث، في أي فرع من فروع العلم.

ثانيًا: تعريف علم الكلام:

تنوعت تعريفات علم الكلام تبعًا لتنوع المؤلفين في هذا العلم، وقد تلتقي هذه التعريفات في نقطةٍ واحدةٍ وهي إثبات العقائد الإسلامية، والدفاع عنها، ودحض الشبه العالقة بها.

---

(١) ماهي الفلسفة، د. حسين علي، ص ٨.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة "فلسف" ١١ /٢١٩.

ومن بين جملة هذه التعريفات ما أورد الجرجاني في التعريفات من أنَّه "علمٌ باحثٌ عن الأعراض الذاتية للموجود من حيث هو على قاعدة الإسلام"[(١)].

وعرفه الإيجي بأنَّه: "علم بأمور يقتدر معه-أي: يحصل مع ذلك العلم-حصولًا دائمًا عاديًا قدرةٌ تامةٌ على إثبات العقائد الدينية على الغير، وإلزامه إياها، بإيراد الحجج عليها، ودفع الشبه عنها"[(٢)].

وهناك تعريفات عدة للعلماء في هذا الصدد اقتصرنا على ذكر اثنين منها حتى لا يطول مقام البحث، ونختم حديثنا بذكر تعريفٍ جامعٍ بين الفلسفة وعلم الكلام الذين هما محور حديثنا في هذا البحث، فنقول: هو علم إثبات العقائد الدينية، وتقريرها والرد على الخصوم باستعمال مصطلحات منطقية فلسفية.

وذلك لأن جل المتكلمين أثبتوا عقائدهم باستعمال مصطلحات فلسفية ، كما سنبين في المبحث الثاني من هذا البحث بإذن الله تعالى.

(١) التعريفات، الجرجاني، ص١/١٥٦.

(٢) المواقف في علم الكلام، للإيجي، ١/٣٣.

المبحث الأول: لمحة تاريخية بين الفلسفة وعلم الكلام

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفرق بين الفلسفة وعلم الكلام.

المطلب الثاني: عوامل تأثير الفلسفة في علم الكلام وظهور علم الكلام الفلسفي.

المطلب الأول: الفرق بين الفلسفة وعلم الكلام

يمكننا من خلال ما أوردناه في التمهيد من التعريف بعلم الفلسفة وعلم الكلام أن نستنبط الفرق بينهما من خلال إمعان النظر في تعريفهما فنجد أن:

- الفلسفة قد تكون في الإلهيات، الرياضيات، الطبيعة..الخ، أما علم الكلام فهو ينحصر في العقائد الدينية كما عرفه الإيجي.

-أنَّ الفلسفة تعتمد اعتمادًا كليًا على العقل، ولا وجود للوحي فيها، بينما في علم الكلام نجد الاعتماد على العقل تارةً، وعلى العقل والنقل معًا تارةً أخرى، وقد يقتصر الاعتماد على النقل فقط.

-أنَّ علم الكلام وجد للرد على الخصوم وتقرير العقائد كما يراها المتكلم، بينما الفلسفة كانت حديث قوم أمعنوا النظر والتأمل في الكون فجاءت أقوالهم بناءً على ما وصلت إليه عقولهم أثناء تأملاتهم.

-أنَّ المتكلمين يؤمنون، ثم يدافعون عما يؤمنوا به، بينما الفلاسفة لا يؤمنون، ثم يبحثون ليصلون الى ما يؤمنون به.

- هناك فرقٌ من حيث النشأة، فالكلام في الإسلام نشأ تدريجيًا وفي مسائل متفرقة، تثير فرقةٌ مسألةً فيبدي فيها قومٌ رأيًا آخر، ويكوّنون فرقةً وهكذا، وهكذا كانت المسائل المتفرقة تثار، ويتكوّن المذهب تدريجيًا، وكلما تقدم العصر أثيرت مسائل جديدة، ووضعت لها حلول جديدة، وهذا شأن كل العلوم الإسلامية من نحو وفقه وبلاغة، أما الفلسفة في الإسلام فلم تتدرج هذا التدرج؛ لأنَّها قطعت شوط النشوء عند اليونان، ثم نقلت كاملة أو شبه كاملة، والجديد فيها أنها كان اشتغال المسلمين بها وتفهمها وشرحها والتعليق عليها تمهيدًا في نشأة علم الكلام عليها، وإبداء بعض الآراء فيها، والتوفيق بين بعض قضاياها والقضايا الإسلامية. وهذا ما جعلنا نَعُدُّ علم الكلام علمًا إسلاميًا، وإن كان فيه بعض المسائل الفلسفية اليونانية، على حين أنَّا لا نستطيع أن نسمي الفلسفة التي اشتغل بها الكندي

والفارابي وابن سينا فلسفة إسلامية إلا بقدر من التجوُّز[(١)].

هذا من حيث الفروقات بين هذين العلمين، غير أن البعض لا يؤمن بوجود فرقٍ بين الفلسفة والعلم الشرعي الذي يراد به إثبات الأمور الدينية، ولعل أبرز من تحدث بهذا الصدد الفيلسوف الإسلامي ابن رشد الحفيد في كتابه المشهور: (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) فقرر في كتابه من أنَّ الحكمة والتي يُعرف بها الفلسفة هي نفسها مراد الله تعالى في قوله لنبيه ﷺ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾[(٢)]، إلى غير ذلك من تقريراته التي ذكرنا أشهرها من محاولة التقريب بين الشريعة والفلسفة، واجتهد العلماء في رد دعواه، ولعل من أبرزهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، في كتابيه بيان تلبيس الجهمية، ومجموع الفتاوى.

وعلى نقيض هذا الاختلاف قد نجد هناك أمورًا تشترك فيها الفلسفة وعلم الكلام رغم الفروقات السابقة ومنها:

-أنَّ كلا من الفلسفة وعلم الكلام يدور مبحث علمهما على العقل، وإن كان هناك اعتماد في تقرير بعض عقائد علم الكلام على النقل، إلَّا أنَّ غالب اعتماده على العقل ويزن العقيدة بميزان العقل، فهذه نقطة اتفاقٍ جوهريةٍ بين علم الفلسفة وعلم الكلام.

"هذا وإن شابه علم الكلام الفلسفة في نزعته العقلية، فإنَّها تختلف عنه في نقطة جوهريةٍ هي أنَّ العقل لدى الفيلسوف هو المنطلق الذي يبدأ منه وينتهي إليه في تقرير الحقائق التي يفترضها، في حين يبدأ المتكلم من عقائد دينية مبنية في أساسها على نصوص الهية المصدر، ويفترض أن ينحصر عمله في بيانها وتأييدها بالحجج العقلية ودفع الشبه عنها"[(٣)].

-قد تشترك الفلسفة مع علم الكلام في مبحث الإلهيات وأن كلاهما يثبت ذلك بالعقل إثباتًا أوليًا.

ويقول الدكتور صبري محمد خليل: "يذهب بعض الباحثين إلى أنَّ هناك خلافًا منهجيًا بين

(١) ضحى الإسلام، أحمد امين، ٣/٧٠٠-٧٠١.

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٣) أثر الفلسفة اليونانية في علم الكلام الإسلامي، محمود نفيسة، ص٢٩، نقلًا عن فخر الدين الرازي، محمد صالح الزركان، ص١٦٠.

الكلام والفلسفة، فالمتكلم يُسَلِّم أو لا، يُسَلِّم بفروضٍ ميتافيزيقيةٍ ثم يحاول إقامة الأدلة على صحتها، أما الفيلسوف فإنَّه لا يُسَلِّم بفروضٍ عند البداية، ثم يحاول التوصل إلى النتائج، فمثلًا: (المتكلم يسلم أولًا بوجود الله، ثم يحاول إقامة الأدلة على وجوده، أما الفيلسوف فإنَّه لا يسلم بشيءٍ عند البداية ثم يحاول البرهنة على وجود الله)"[1].

ولذلك يُنظَر لعلم الكلام على أنَّه الممثل الحقيقي للفلسفة الإسلامية والمعبر القوي عن أصالتها[2].

(١) الفكر الفلسفي الإسلامي، د/صبري محد خليل.

(٢) انظر: تأثير الفلسفة اليونانية على علم الكلام الإسلامي، ص٢٦، نفيسة نقلًا عن: تمهيد لدراسة علم الكلام، عبدالحميد مدكور.

المطلب الثاني: عوامل تأثير الفلسفة في علم الكلام وظهور علم الكلام الفلسفي

عندما نحاول أنَّ نبيِّن الأثر الفلسفي في علم الكلام، في أي فرع من فروع الفلسفة، فلا بد أن يسبق ذلك عوامل ساعدت على تأصيل هذا التأثير، بل وفي بعض مباحث علم الكلام كان الاعتماد عليها اعتمادًا كليًا بعيدًا الدين الإسلامي وعقائده، فهناك عوامل ساعدت على انتشار الفلسفة ورواجها بين المسلمين، جعل من ضعيفي الإيمان يستقبلها بصدر رحب، وينهل منها بل ويشيد بها، ولعل من أبرز تلك العوامل:

-اختلاط المسلمين بغيرهم من أصحاب الثقافات غير الإسلامية:

كان لاختلاط المسلمين بغيرهم-وخصوصًا أهل الكتاب-أثر واضح في تأثر المسلمين بثقافاتهم وموروثاتهم التي منها الفلسفة اليونانية، فإن كثيرًا منهم دخل في دين الإسلام ولايزال عالقا به شيء من هذه الثقافات البعيدة عن منهج الدين الإسلامي.

بل ورحب المسلمون بأهل هذه الثقافات يقول برتراند رسل: "أما المسلمون فقد أفسحوا صدورهم تسامحًا لكل المذاهب المسيحية"[(١)].

ونجد أنَّ كثيرًا من العقائد والقضايا الكلامية كان مبدأها من أهل الكتاب، ففي هذا يقول الشهرستاني: "(.....وفرق منهم المشبهة-أي اليهود-) وهم الأصل في التشبيه، وكل من قال قولًا في دولة الإسلام بشيء من التشبيه فقد نسج على منوالهم)"[(٢)].

فكان لالتقاء حضارة الإسلام بالحضارات الأخرى المختلفة أثر كبير في تزكية مباحث علم الكلام فسرعان ما قام الداخلون في الإسلام بدور سياسي وثقافي واجتماعي ملحوظ طبع الحياة الإسلامية بطابع الجدل والمناظرة ونشهد أن الحقيقة تتجلى فيها التأثيرات المختلفة لما عرفه المجتمع وقتئذ من الوان الثقافة وضروب التفكير[(٣)].

وكذلك فإنَّ أرباب الديانات يتجادلون في أديانهم ويقفون مواقف الهجوم والدفاع-كل هذا

(١) تاريخ الفلسفة الغربية، برتراند رسل ١٨٢/٢.

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني، ص١٥١.

(٣) مباحث في علم الكلام والفلسفة، د علي الشيباني، ص٢٩.

سبَّبَ حالة عقلية جديدة-فأهل الديانات الأخرى إنما يدعون إلى دينهم بالعقل والمنطق، ويُرَدّ عليهم بالعقل والمنطق، فكان طبيعيًا أن يفعل المسلمون ذلك حينما يدعونهم إلى الإسلام، وقد كانت الدعوة إلى الإسلام في العصر الأول أكثر ما تعتمد على الأسلوب الفطري من لفت إلى الكون وآثاره ودلالة ذلك على موجدها قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾[1]، فجاء أرباب الديانات الأخرى في العصر العباسي يريدون أدلة عقلية مؤسّسة على منطق أرسطو، فيها مقدمة صغرى وكبرى، مستوفيتان للشروط، وفيها نتيجة كذلك؛ فتحولت الدعوة الدينية إلى علم الكلام، وتأثر تفسير القرآن وتفسير الحديث والتشريع بهذا الأثر الفلسفي[2].

ويبين ذلك البغدادي في حديثه عن السبأية وزعيمها عبدالله بن سبأ، ومقالته الكفرية في علي ﷺ، فعبد الله بن سبأ يهودي الأصل وأثر في الدين الإسلامي وفرَّقه بمقالته هذه التي تلقفها الشيعة من بعدة[3].

فهذا إحدى أمثلة تأثير اختلاط المسلمين بغيرهم من أهل الملل، الذين بلا شك تأثروا بثقافات غير إسلامية، يتبين من هذا أن الفتوحات والاختلاط بين الأمم عامل غير مباشر من عوامل تأثر العلم الكلامي بالفلسفة.

-ترجمة الكتب اليونانية:

عندما نمعن النظر في تاريخ نشأة علم الكلام فسنجد أنَّه ترعرع في وسط فلسفي عاصر دخول علوم الفلسفة على المسلمين منذ بدايتها، فمزجت مباحث علم الكلام بالفلسفة، بل تطور الأمر إلى الأخذ بنظريات فلسفية وتنقيحها وتهذيبها كي تتسم مع العقائد التي يدافعون عنها، ويخضعها لمنظومته التي تستند على أساس ديني[4].

وقد أظهرت المعتزلة أول أمرها نزعة الاعتماد على العقل، والاعتداد به إلى جانب النصوص الدينية، فحكموا العقل بكل آرائهم، وكانت حركة الترجمة معاصرة لحركة الاعتزال بدءً من العلاف،

(١) سورة النبأ، الآية ٦-٧-٨.

(٢) ضحى الإسلام، أحمد أمين، ص٣٨١.

(٣) الفرق بين الفرق، البغدادي، ص١٧٤.

(٤) انظر: أثر الفلسفة اليونانية في علم الكلام الكلام الإسلامي، محمود نفيسة، ص٣٩.

فلما تُرجمت الكتبُ اليونانية أيام العباسيين–خصوصا في خلافة المأمون–طالع شيوخ المعتزلة كتبهم، وخلطوا مناهج الفلسفة بأبحاثهم، فأفردوا لذلك فنًا من فنون العلم أسموه علم الكلام[(١)].

وكذلك النَّظَّام خالط ملاحدة الفلاسفة وأخذ منهم نظرياتهم وقولهم بالجزء الذي لا يتجزأ، وبنى عليه قوله بالطفرة، ودون مذاهب الثنوية وبدع، الفلاسفة، وشبه الملاحدة في دين الإسلام[(٢)].

ومما يُبيِّن تأثر المتكلمين بالترجمة للكتب اليونانية، وقَبُولهم لما جاء فيها، والاقتناع بما أصلوه فيها، إشادة المتكلمين أنفسهم بهذا العلم والافتخار بالنهل منه، ولعل قول الجاحظ–في كتابه الحيوان– أكبر دليل على ذلك: "وليس يكون المتكلم جامعًا لأقطار الكلام، متمكنًا للصناعة، يصلح للرياسة، حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة، والعالم عندنا هو الذي يجمعهما، والمصيب هو الذي يجمع بين تحقيق التوحيد وإعطاء الطبائع حقائقها من الأعمال"[(٣)].

– وسبب ثالث نتج من السبب الثاني، وهو أن حاجة المتكلمين إلى الفلسفة لوقوفهم؛ أمام خصومهم يجادلونهم بمثل حججهم، اضطرتهم إلى أن يقرأوا الفلسفة اليونانية، وينتفعوا بالمنطق وباللاهوت اليونانيين، فنرى النَّظَّام يقرأ أرسطو ويرد عليه، وأبا الهُذيل العلَّاف كذلك؛ ونرى كثيرًا عن المعتزلة يتكلمون في الطَّفرة والتوالد، والجوهر والعرض، والجوهر الفرد، ونحو ذلك من المسائل التي تعد من صميم الفلسفة اليونانية وتدخل في بحوث المتكلمين[(٤)].

ومما يدل كذلك على التفاعل القوي والتأثر بين الفلسفة وعلم الكلام هو أنَّ متأخري المتكلمين بدأوا أبواب كتبهم بما يسمى (الأمور العامة)، ويكون الحديث فيها في مباحث منطقية وميتافيزيقية، وطبيعية، تتعلق بين الأحكام المشتركة بين الموجودات واجبة كانت أو ممكنة، وجدوها ضرورية لدعم بحوثهم الإلهية والدينية في صميم العقيدة فيما يلي ذلك من أبواب، ولعل الرازي كان

(١) انظر: المرجع السابق ص٢٩، نقلًا عن: الفلسفة والإلهيات، الفرد جيوم، ٢٧٧/١، النظام واراؤه الكلامية الفلسفية، محمد أبو ريده،ص٦٧.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ص١٠٢.

(٣) الحيوان، للجاحظ، ص ١٣٤.

(٤) ضحى الإسلام، احمد أمين،٦٩٢/٣.

رائدًا في ذلك[1].

وهذا غيض من فيض من إشادة المتكلمين بنظريات الفلاسفة وإدخالها في أحاديثهم عن العقائد الإسلامية، وهذا واضح جلي في كتب المتأخرين من المتكلمين، فالأثر المباشر والحقيقي للفلسفة لم يظهر إلا بعد حركة الترجمة أما قبل ذلك فما ذكرناه في النقطة الأولى من اختلاط المسلمين بغيرهم من أهل الملل فهو وإن كان مؤثرًا لكن تأثيره غير مباشر ولم ينتشر مثل الترجمة.

ونتيجة لهذا التمازج بين هذين العلمين مع ما بينهما من البون الشاسع في الأساس الذي تنطلق منه، نستطيع أن نقول: إن علم الكلام تأثر بترجمة الكتب اليونانية تأثرًا جليًا، جعل جل مباحث علم الكلام مباحث فلسفية، مما جعل بعض المتكلمين ينحرف عن العقيدة الإسلامية الصافية، كما قررها الكتاب والسنة، ليدخل فيها ما ليس فيها، بل وصل الأمر إلى إلغائها كما سنرى في موقف المتكلمين من الصفات الإلهية في المبحث الثاني بإذن الله.

(١) مدخل إلى دراسة علم الكلام، د حسن الشافعي، ص

المبحث الثاني: أثر الفلسفة على المتكلمين في مجال العقائد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهم المسائل الاعتقادية عند المتكلمين وتأثير الفلسفة فيها.

المطلب الثاني: نقد دعوى المتكلمين في مسائل الاعتقاد.

المطلب الأول: أهم المسائل الاعتقادية عند المتكلمين وتأثير الفلسفة فيها

إلحاقًا لما بيناه في المبحث الأول من عوامل تأثير الفلسفة في علم الكلام نتناول في هذه المبحث-بمشيئة الله تعالى-الأثر الفلسفي على المتكلمين في علوم العقيدة، ومدى انحراف المتكلمين عن العقيدة الإسلامية الصحيحة نظير ما أدخلوه من علوم الفلاسفة أثناء تعريبهم لكتبهم وفي هذا يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : "هذا التعاليم لما اتصلت بالمسلمين، وعربت كتبها مع ما عرب من كتب الطب والحساب والهيئة، وغير ذلك، وكان انتشار تعريبها في دولة الخليفة أبي العباس الملقب بالمأمون، أخذها المسلمون فحرروها لفظًا ومعنى، لكن فيها من الباطل والضلال الشيء الكثير... ومنهم من لم يقصد اتباعها لكن تلقى عنها أشياء يظنَّ أنَّ جميعها توافق الإسلام وتنصره، وكثيرٌ منها تخالفه وتخذله، وهذا حال كثيرٍ من أهل الكلام المعتزلة؛ ولهذا قيل لهم: مخانيث الفلاسفة"[(١)].

ونستعرض تأثير للفلسفة في علم الكلام في مسائل العقيدة من خلال ثلاثة محاور:

أولًا: القول بحدوث العالم.

ثانيًا: إثبات وجود الله ﷻ.

ثالثًا: الصفات الإلهية.

فهذه المحاور يمكن أن نقول: إنَّها أبرز المسائل العقدية التي تأثر فيها المتكلمون بالفلسفة، وهذا ليس على سبيل الحصر بل هناك مسائل عدة تأثر بها المتكلمون بمصطلحات الفلاسفة وأدخلوها في كلامهم عن العقائد الإسلامية، تزخر بها كتبهم، وكتب المتحدثين عن الفرق الإسلامية.

أولًا: القول بحدوث العالم:

أجمع غالب المتكلمين على القول بهذه المسألة سوى ما شذ من بعض الفلاسفة من القول بقدم العالم، والبعض منهم قال بحدوثه، ويقرر البغدادي من أنَّ أهل الإسلام أجمعوا على حدوث العالم فيقول: "فقد أجمعوا على أنَّ العالم كل شيء هو-غير الله ﷻ-وعلى أنَّ كل ما هو غير الله تعالى، وغير صفاته الأزلية، مخلوقٌ مصنوعٌ، وعلى أنَّ صانعه ليس بمخلوقٍ ولا مصنوعٍ، ولا هو من

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ص ٢٦٥-٢٦٦.

جنس العالم، ولا من جنس شيءٍ من أجزاء العالم، وأجمعوا على أنَّ أجزاء العالم قسمان جواهر وأعراض"[(١)].

فغالب الفرق الإسلامية تثبت حدوث العالم وأن الله خالق العالم، لكن تقرير هذا وتبيينه لم يأخذوه من النهل الصافي من نصوص الوحيين، إنَّما اتبعوا في ذلك طريقة الفلاسفة في تقسيم الوجود إلى واجب وممكن، والتشقيقات التي وضعوها لإثبات حدوث العالم.

ويستدل المتكلمون بحدوث العالم على أنَّ الله قادر مختار لا موجب بالذات؛ إذ لو كان موجبًا بالذات لكان أثره قديمًا مثله؛ لامتناع تخلف المعلول عن علةٍ تامةٍ، فحدوث العالم دليلٌ على أنَّ الله تعالى أوجده بقدرته واختياره[(٢)].

وأدلة المتكلمين على أنَّ العالم حادثٌ فكثيرةٌ جدًا، فمنهم من استدل بالجوهر، ومنهم من استدل بالعرض، ومنهم من استدل بالحركة، ومنهم من استدل بأنَّ غير واجب الوجود هو حادثٌ، ومنهم من استدل بالأكوان وغيرها، ولعلي أختصر في هذا البحث في تبيين طريقة الآمدي لإثبات حدوث العالم الذي يقول-بعد أن استقرأ آراء خصومه-: "فإذًا الرأي الحق أن يقال: لو افتقر كل موجودٍ في وجوب وجوده إلى غيره إلى غير نهاية، فكل واحدٍ باعتبار ذاته ممكن لا محالة، فإنَّ ما وجب وجوده لغيره فذاته لذاته إما أن تقتضي الوجوب أو الامتناع أو الإمكان، لا جائز أن يقال: بالوجوب؛ لأنَّه عند فرض عدم ذلك الغير إن بقي وجوب وجوده فهو واجبٌ بنفسه وليس واجبًا لغيره، وإن لم يبق وجوب وجوده فليس واجبًا لذاته؛ إذ الواجب لذاته ما لو فرض معدومًا لزم منه المحال لذاته لا لغيره، ولا جائز أن يقال بالامتناع وإلَّا لما وجد ولا لغيره، فبقى أن يكون لذاته ممكنًا، وإذا كان كل واحدٍ من الموجودات المفروضة ممكنًا-وهى غير متناهية-فإما أن تكون متعاقبةً أو معًا، فان كانت متعاقبةً فما من موجودٍ نفرده بالنظر إلَّا وفَرْضُ وجودِه متعذرٌ، وانتهاءُ النوبة إليه في الوجود ممتنعٌ، فإنه مهما لم يفرض وجوب وجود فلا وجود له، وكذا الكلام في موجده بالنسبة إلى موجده، وهلم جرا، وما عُلِّقَ وجوده على وجود غيره قبله، وذلك الغير أيضًا مشروطٌ بوجود غيره قبله، إلى ما لا يتناهى، فإنَّ وجودَه محالٌ، ونظير ذلك ما لو قال القائل: لا أعطيك درهمًا إلَّا وقبله درهمًا، وكذا إلى ما لا يتناهى، فإنَّه لا سبيل إلى إعطائه درهمًا ما، وهو على نحو قول الخصم في تناهى الأبعاد باستحالة وجود بُعْدَيْن غير متناهيين فرض أحدهما دائرًا على الآخر، بحيث يلاقيه

(١) انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ص٢٤٤-٢٤٥.

(٢) ابن تيمية السلفي، محمد هراس، ص١٧٠.

عند نقطة وينفصل عنه بأخرى، بناءً على أنَّ ما من نقطة إلَّا وقبلها نقطةٌ إلى ما لا يتناهى، فما من نقطةٍ يفرض التلاقي عندها إلَّا ولا بد أن يكونا قد تلاقيا قبلها عند نقطة أخرى، إلى ما لا يتناهى، وذلك محالٌ، كيف وأنَّ ما من واحدٍ يفرض إلا وهو مسبوقٌ بالعدم، فالجملة مسبوقةٌ بالعدم، وكل جملةٍ مسبوقةٍ بالعدم ولوجودها أوَّل تنتهي إليه، فالقول بأنَّ لا نهاية لأعدادها ممتنع"[1].

يتبين لنا من خلال التمعن في نص الآمدي أنَّه سلك طريقة الفلاسفة في إثبات واجب الوجود وممكن الوجود، وأن ما دون واجب الوجود فهو حادثٌ، وأسهب في ذلك إسهابًا يبعد كل البعد عن نور تقرير الوحيين في إثبات وجود الله، وأنَّه الخالق لهذا العالم، وكل هذا لكي يبرزوا النزعة العقلية الفلسفية التي اعتمدوها في إثبات العقائد وتقريرها.

ويمكن أن نحصر دعاوى المتكلمين إجمالًا دون إيراد لأقوالهم في تدليلهم لحدوث العالم والتي تأثروا في صياغتها بأقوال الفلاسفة ومصطلحاتهم كما يلي:

الدعوى الأولى:

ندعي أنَّ العالم مكون من أجسام وأعراض، فالأجسام هي ما قامت بنفسها، والأعراض ما قامت بغيرها، وهي الأجسام، ومثالها: الحركة والسكون، والافتراق والاجتماع.

الدعوى الثانية:

أن الأعراض محدثة، والدليل على حدوثها أنَّها تعدم والقديم لا يعدم، والدليل على عدمها المشاهدة فكل ما هو متحرك ينعدم فيسكن، وهكذا في الباقي، والدليل على أن القديم لا ينعدم هو أنَّ القديم إما لذاته أو لغيره، لا جائز أن يكون القديم لغيره؛ لأنَّه لو كان كذلك فمن حق هذا الغير الذي هو علته تقدم هذا القديم فيكون حادثا هذا خلف، ولا جائز أن يكون قدمها لذاتها فإذا كان كذلك فإنَّ ذاتها باقية فيستحيل عدمها لكنها عدمت هذا خلف فيلزم أنَّها حادثة.

دعوة الثالثة:

أنَّ الأجسام لم تخل من الأعراض المحدثة ولم تتقدمها في الوجود الدليل؛ لأنَّها لو خلت من

(١) غاية المرام في علم الكلام، للآمدي، ص١٣-١٤.

الأعراض المحدثة، أو تقدمتها في الوجود، لجاز أن يكون جسم لا متحرك أيضاً لا ساكنًا، لكن أن يكون غير متحرك معناه أن يكون ساكنًا فيكون الجسم وقتها ساكنًا وغير ساكنٍ في آنٍ واحدٍ وهذا خُلفٌ فيتعين المطلوب.

الدعوى الرابعة:

أنَّ ما لم يخل من الحوادث ولم يتقدمها في الوجود فهو حادثٌ مثله، والدليل الحادث هو ما له أول كان معدومًا قبلها، فلو كانت الأجسام قديمة وهي غير منفكة عن الأعراض لكانت الأجسام موجودة قبل وجود الأعراض، وبالتالي انفكت عن وجود الأعراض هذا خلف فيتعين أنَّها حادثة، بهذا تثبت الدعاوى الأربعة، فيثبت منها حدوث العالم عند المتكلمين[(١)].

وأمَّا بالنسبة للأثر اليوناني على المتكلمين في هذه الأدلة: فيمكننا القول: إن دليل المتكلمين قائم على الاستدلال بالعرض والجوهر والجسم، وأنه منها يتكون العالم، وهذه أفكار لها جذور يونانية، فقد ذهب ديمقريطس من قبل إلى القول بأن الملأ هو ذرات مادية أزلية أبدية متناهية في الصغر، بحيث لا يمكن إدراكها وأنها كثيرة في العدد لانهاية لها إلا أن صفاتها محدودة وأنها متشابهة في الكيف، وأن التغير الذي يلحقها إنما هو من ناحية الكم من حيث زيادة عدد الذرات في الجسم، أو قلتها، وتختلف الموجودات المؤثرة في هذه الجواهر من حيث الشكل والمقدار بسبب الحركة التي تعصف بالجواهر منذ القدم وتوجهها إلى الخلاء الواسع، فتتقابل وتتشابك وتتألف في مجاميع هي الموجودات.

والفرق بين ما أقره المتكلمون وما قال به ديموقريطس هو أنَّ الذرات عند ديموقريطس أزلية، بينما هي عند المتكلمين محدثةٌ ومفتقرةٌ إلى فاعلٍ ومحدثٍ يحدثها ويجمعها ويفرقها[(٢)].

ثانيًا: إثبات وجود الله ﷻ:

يسلك بعض المتكلمين في إثبات وجود الله ﷻ على دليل الأعراض والجواهر، وهو مبني على ما سبق بيانه في دليل الحدوث عند المتكلمين، فهم يثبتون حدوث العالم، ثم يستدلون بحدوث

(١) انظر: تحقيق الكلام في قدم العالم وحدوثه بين الفلاسفة والمتكلمين، أحمد التل، ص ٣٤-٣٤.

(٢) أثر الفلسفة اليونانية في علم الكلام الإسلامي، محمود نفيسة، ص٢٤٩، نقلًا عن: فلوطرخس، الآراء الطبيعية، ص١٠٢، وأرسطو، الطبيعة١/٤٣، وأرسطو، الكون والفساد، ص١٠٩-١٧٦.

العالم على وجود الله ﷻ، ولعل من أبرز من تحدث بهذا الشأن القاضي عبدالجبار حيث يقول في معرض الاستدلال بالأعراض على الله ﷻ: "وإذا أردت أن تستدل بالأعراض على الله تعالى فمن حقك أن تثبتها أوَّلا ثم تعلم حدوثها، ثم تعلم أنَّها تحتاج لمحدثٍ وفاعلٍ مخالفٍ لنا والله تعالى"[(١)].

وهذا الدليل-أعني الجواهر والأعراض-هو أحد أهم الطرق والدلائل لدى المتكلمين في إثبات وجود الله ﷻ، وهو مبني في طريقة تفنيده على أربع مقدمات:

المقدمة الأولى: إثبات الأعراض.

والمقدمة الثانية: إثبات حدوث هذه الأعراض.

والمقدمة الثالثة: بيان امتناع خلو الأجسام عن هذه الأعراض.

والمقدمة الرابعة: بيان أن ما لا يخلو عن هذه الأعراض فهو حادث، وأن ما لا يخلو من جنس الحوادث فهو حادث لامتناع حوادث لا أول لها، وكل حادث فلا بد له من محدث وهو الله ﷻ.

فهذا الدليل هو أحد أهم أدلة المتكلمين في إثبات وجود الله ﷻ فقد حاول المتكلمون إثبات وجود الله بهذا الدليل الذي استقوه من مذهب جالينوس، وهو الذي قادهم بعد ذلك إلى تأويل الصفات والمبالغة في ذلك؛ بسبب دليل الأعراض والجواهر؛ إذ جعلوه أصلا في العقيدة وطرق إثباتها[(٢)].

يقول الإيجي مبينًا أن هذا الدليل استقاه المتكلمون من الفلاسفة: "ومذهب جالينوس لنا في حدوث الأجسام مسالك:

المسلك الأول-وهو المشهور-: الأجسام لا تخلو عن الحوادث، وكل ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث"[(٣)].

(١) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار، ص٩٢.

(٢) انظر: الصفات الإلهية عند المعتزلة مفهومها وسبب تأويلها، أبو حسين العدني.

(٣) المواقف، للإيجي،٢/٦٠٩.

فبعد أنَّ وضعوا طريقتهم في حدوث العالم، واضطر بعضَهم ذلك إلى القول بتركيب الأجسام من أجزاء لا تتجزأ، وإقامة الدليل على عدم حدوثها بنفسها، إلى أن يصلوا بعد ذلك إلى إثبات وجود الله [(١)].

يفهم من هذا أن المتكلمين استقوا مذهبهم في إثبات وجود الله ﷻ ممن سبقهم من الفلاسفة، وتأثروا بهم باستخدام مفهوم (الجوهر–العرض)، وبالأخص من فلسفة الفيلسوف (جالينوس).

والجدير بالذكر أنَّ الفلاسفة المسلمين أخذوا من المعتزلة والأشاعرة دليلهم في الحدوث على إثبات وجود الله ﷻ، فعوَّلوا على الدليل الكوني كما عند المتكلمين، الذي يحاول أن يثبت وجود الله ﷻ عن طريق وجود الكون، وهو ذاته دليل الحدوث عند المتكلمين[(٢)].

ثالثا: الصفات الإلهية:

خاض المتكلمون في إثبات الصفات الإلهية مسلكًا بعيدًا كل البعد عن مسالك السلف الصالح في إثباتها، بل وتطور الأمر نظير تأثرهم بمقولات الفلاسفة إلى تعطيل الصفات الإلهية، واتباع مسلك التأويل والتفويض، ولعلنا نوجز قولنا في هذا البحث في قول المعتزلة في الصفات الإلهية، كون المعتزلة هي رأس المتكلمين ومبدأ علم الكلام.

ويؤكد الأشعري أنَّ المعتزلة قالت بقول الفلاسفة في هذا الصدد فيقول–بعد أن بين مقالتهم–: "وهذا قول أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة اللذين يزعمون أن للعالم صانعًا لم يزل، ليس بعالمٍ، ولا قادر، ولا حيٍّ، ولا سميعٌ، ولا بصيرٌ، ولا قديمٌ، وعبروا عنه بأن قالوا: تقول: عينٌ لم يزل، ولم يزيدوا على ذلك، غير أنَّ هؤلاء الذين وصفنا قولهم من المعتزلة في الصفات، لم يستطيعوا أن يظهروا ما كانت الفلاسفة تظهره، فأظهروا معناه بنفيهم أن يكون للبارئ علمٌ وقدرةٌ وحياةٌ وسمعٌ وبصرٌ، ولولا الخوف لأظهروا ما كانت الفلاسفة تظهره من ذلك، ولأفصحوا به، غير أنَّ خوف السيف يمنعهم من إظهار ذلك" [(٣)].

---

(١) ضحى الإسلام، أحمد أمسن، ٦٩٧/٣.

(٢) في الفلسفة الإسلامية، منهج وتطبيقة، د/عبدالكريم مدكور، ٧٠/٢.

(٣) مقالات الإسلاميين، للأشعري، ٣٦٣/٢.

وقد ذهب كثيرٌ من المستشرقين، وبعض الباحثين المحدثين، إلى القول بالأثر اليوناني على آراء المعتزلة في الصفات، سواء كان ذلك عن طريق اطلاعهم المباشر على الفلسفة اليونانية، أو من خلال نقاشهم مع رجال الدين المسيحي، اللذين نشأوا على مناهج الفلسفة الإغريقية[(١)].

فيبين النَّظَّام مذهبَه في الصفات–وهو من أكابر وشيوخ علماء المعتزلة– بقوله: "إنَّ الله لم يزل عالمًا حيًا قادرًا سميعًا بصيرًا قديمًا بنفسه، لا بعلم وقدرة وحياة وسمع وبصر وقدم"[(٢)].

يتبيَّن أنَّ مذهب النَّظَّام نحى منحى التعطيل، فهو ينفي العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر وصفات الذات.

وكذلك ما نجده من توحيد بين الصفات والذات، عند جمهور المعتزلة وأبي الهذيل العلَّاف– وهو من أشهرهم بوجه خاص–في قوله: إنَّ الله عالم بعلم هو هو، وهكذا في سائر الصفات، يقترب من أرسطوا الذي وحد بين الصفة والموصوف، حيث رأى أن الله هو التعقل القائم بذاته، والتعقل فيه عين المعقول[(٣)].

ومما يؤكد أنَّ العلَّاف أخذ مقالته هذه في الصفات من الفلاسفة ما أكده الأشعري بقوله: "وهذا أخذه أبو الهذيل عن أرسطوطاليس، وذلك أن أرسطوطاليس قال في بعض كتبه: إن البارئ علم كله، قدرة كله، حياة كله، سمع كله، بصر كله، فحسن اللفظ عند نفسه، وقال: علمه هو هو، وقدرته هي هو"[(٤)].

ما بينه الأشعري يبين لنا أن تأثير الفلسفة على علماء الكلام تعدى إلى أخص خصوصيات المسلمين وهي صفات الإله جل وتقدس وتعطيلها.

وقد يقول قائل: إن المعتزلة تثبت لله صفات ولم تعطل كل الصفات فتثبت بأنَّ الله تعالى لم يزل موجودًا قبل الخلائق، ولم يزل عالمًا قادرًا حيًّا، وقوله صحيح، وهذا كذلك مذكور في أشهر مصنفات المعتزلة، كما في شرح الأصول الخمسة للقاضي، لكن تفطن لباطن قولهم ومغزاهم علماء

(١) أثر الفلسفة اليونانية في علم الكلام الإسلامي، محمود نفيسة، ص٣٩٧.
(٢) مقالات الإسلاميين، للأشعري، ٢/٣٦٥.
(٣) انظر: أثر الفلسفة اليونانية في علم الكلام الإسلامي، محمود نفيسة، ص٤٠٥
(٤) مقالات الإسلاميين، للأشعري، ٢/٣٦٤.

الإسلام بأن مقصودهم التعطيل الصرف وما بينوه وأثبتوه من صفات لا تتعدى أنها أقوال تخلو من التطبيق، يقول ابن تيمية رحمه الله: "والجهمية والمعتزلة وغيرهم تنكر هذه-أي معاني الصفات- وتقول: إنما الصفات مجرد العبارة التي يُعبَّر بها عن الموصوف"[(١)].

فهم يُخبرون عن الله تعالى بأنه قادرٌ وعالمٌ وحيٌّ لا على سبيل الاتصاف بهذه الصفات، وإنَّما على سبيل الخبر والحكاية عنه.

وأجمعت المعتزلة على أنَّ صفات الله سبحانه وأسمائه هي أقوال وكلام، فقولنا: الله عالم قادر حيّ، أسماء لله وصفات له، وكذلك أقوال الخلق، ولم يُثبتوا صفةً له علمًا، ولا صفةً قدرة، وكذلك قولهم في سائر صفات النفس[(٢)].

يتبين مما سبق أن التأثر الأشد لدى المتكلمين بالفلسفة وُجِد في باب الصفات الإلهية، حيث أدى تأثرهم بها إلى التعطيل المحض، وإن تَقَوَّلُوا وأثبتوا بعض الصفات التي مقصودهم فيها الأسماء لا الصفات.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/٣٣٥.

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري، ١/٢٤٤-٢٤٩.

المطلب الثاني: نقد أدلة المتكلمين في إثبات العقائد

نتناول في هذا المطلب-بعون الله-نقد أدلة المتكلمين في إثبات العقائد الإسلامية بشيءٍ من الإيجاز، والتي بينوها وقرروها على غرار مناهج الفلاسفة، وكان لها من الآثار ما أدى إلى تعطيل بعضٍ من العقائد والانحراف بالبعض الآخر عن العقيدة الإسلامية الصحيحة.

أولا: نقد دليل الحدوث:

قرر المتكلمون دليل الحدوث كردة فعل على قول الفلاسفة بقدم العالم، لكنهم لم يخرجوا من دائرة الفلاسفة ومن نفيهم للخالق؛ لأن دليل الحدوث أصلًا لا يدل على محدث.

وفي هذا يقول ابن تيمية رحمه الله: "فيقال لهؤلاء الفلاسفة وأئمة أهل الملل وغيرهم: فهذا الدليل الذي أثبتم به حدوث العالم هو يدل على امتناع حدوث العالم وكان ما ذكرتموه إنَّما يدل على نقيض ما قصدتموه؛ وذلك لأنَّ الحادث إذا أحدث بعد أن لم يكن محدثًا فلابد أن يكون ممكنا والإمكان ليس له وقت محدد فما من وقت يقدر إلا والإمكان ثابت قبله، فليس لإمكان الفعل وجواز ذلك وصحته مبدأ ينتهي إليه فيجب أنه لم يزل الفعل ممكنًا جائزًا صحيحًا فيلزم أنه لم يزل الرب قادرًا عليه فليزم جواز حوادث لا نهاية لأولها"[(١)].

فيقرر ابن تيمية رحمه الله أن استدلالهم باطل في نفسه، وإن قصدوا به تبيين الحق، لكن تفصيل دليلهم يفضي إلى البطلان، وهذا ليس بغريب لمن اضطلع على الكتب الفلسفية، ونهل منها ثم أراد أن يقيس ويقرر ما جاء في مضمونها على إثبات العقائد الإسلامية.

ومعلوم أنَّ هذا القول أشبه بما أخبرت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من أنَّ الله خالق كل شيءٍ، فمن ظنَّ أنَّه ليس للناس إلا هذا القول وكان مؤمنا أن الرسل لا يقولون إلا حقًّا يظن أنَّ هذا قول الرسل ومن اتبعهم، ثم إذا طولب بنقل هذا القول عن الرسل لم يمكنه ذلك، ولم يمكن لأي أحدٍ أن يأتي بآيةٍ ولا حديثٍ يدل على ذلك، لا نصًّا ولا ظاهرًا، بل ولا يمكن أن ينقل ذلك عن أحدٍ من أصحاب النبي ﷺ والتابعين لهم بإحسان[(٢)].

---

(١) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، ص ١٥٨-١٥٩.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٢٢٣/١٨.

يتبيَّن من هذا أنَّ قول المتكلمين بالحدوث لم تقل به الرسل، ولم تقرر الأدلة عليه، وهم يوهمون عامة الناس بأنَّ قولهم هو مقتضى القول بأن الله خالق كل شيءٍ، فيضلون ويضلون غيرهم بالتخبط بأقوال الفلاسفة الخاوية البعيدة عن نور وتبيين الوحيين.

ثانيًا: نقدهم أدلة المتكلمين على إثبات وجود الله ﷻ:

وهذا من أعظم أصول المتكلمين الذين ذمهم السلف والأئمة، حتى قال الإمام الأشعري إنَّه لا يحتج بها إلا أهل البدع والمنحرفين، بل إنَّه قال: "وخطأ أهل البدع فيما صاروا إليه من مخالفتهم وخروجهم عن الحق الذي كانوا عليه قبل هذه البدع معهم ومفارقتهم بذلك الأدلة الشرعية وما أتى به الرسول ﷺ منها، ونبه عليها، وموافقتهم لذلك لطرق الفلاسفة والصادين عنها والجاحدين لما أتت به الرسل عليهم الصلاة والسلام"[(١)].

ويقول ابن تيمية رحمه الله: "والمقصود هنا أنَّ هؤلاء جعلوا هذا أصل دينهم وإيمانهم، وجعلوا النظر في هذا الدليل هو النظر الواجب على كل مكلف، وأنَّه من لم ينظر في هذا الدليل فإما أنَّه لا يصح إيمانه، فيكون كافرًا على قول طائفة منهم، وإما أن يكون عاصيًا على قول آخرين، وإما أن يكون مقلدًا لا علم له بدينه، لكنه ينفعه هذا التقليد ويصير به مؤمنا غير عاص"[(٢)].

والأقوال الثلاثة باطلة؛ لأنَّها مفرعة على أصل باطل، ومن كانت مقدمته فاسدة فنتيجته فاسدة.

فالمتكلمون سلكوا في وجود الله ﷻ مسلكًا لم تبينه الرسل ولا القرون المفضلة من بعدهم، مسلكًا فيه من التشقيقات والتعقيدات ما يبين أنَّهم ارتكزوا فيه على أصول غير إسلامية، وإلا فإثبات وجود الخالق فطريٌ مغروسٌ في النفس قال تعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾[(٣)]، وهكذا في سائر تقريرهم للأصول، نحوا منحى الفلاسفة ظنًا منهم أنَّهم بصنيعهم هذا يُعْمِلون عقولَهم، ويأتون بما لم يأتِ به مَن قبلهم مِن الإسلاميين، ولم يعلموا أنَّ صاحب العقل السليم والفطرة الصحيحة لا يحتاج لهذا كله، وإنَّما يكفيه دليلٌ صحيحٌ من القرآن والسنة، فيغرس صدق

(١) رسالة لأهل الثغر، للأشعري، ص١٣٤-١٣٥.

(٢) النبوات، لابن تيمية ٢٥٥/١.

(٣) سورة الروم، الآية ٣٠.

هذا الدليل والإيمان به في قلبه دون حاجة لهذه الأدلة العقلية الفلسفية.

ثالثًا: نقد أدلة المتكلمين في الصفات الإلهية:

نفى المتكلمون-والمعتزلة على وجه الخصوص-الصفات الإلهية المثبتة لله ﷻ، ونفيهم هذا هو من لوازم قولهم بدليل الحدوث، فيقولون-فيما يروي الشهرستاني عنهم-: "وقامت الحوادث بذات الباري تعالى لا تصف بها بعد أن لم يتصف، ولو اتصف لتغير، والتغير دليل الحدوث؛ إذ لابد من مغيره"(١).

فلم يعيروا اهتمامًا لما ورد من أسماء الله وصفاته المثبتة في نصوص الوحيين، بل أعملوا عقولهم الفاسدة في تقرير هذه المسألة، وعرضها وتوضيحها بناءً على ما ورثوه من الفلاسفة.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "فما يتوهمه النُّفاةُ المكذبين من المتفلسفة والمتكلمة من أنَّ ثبوت الصفات يستلزم حدوثًا وحاجةً، وأن ثبوت الأفعال أو حكمها المقصودة يستلزم حدوثًا وحاجةً، هو من جنسٍ واحدٍ، وكلا منهم يلزمه فيما أثبته أعظم مما فَرَّ منه هو لم يثبت إلا هذا الموجود المحسوس بلا صانع أصلًا. بل كلما كان أقل إثباتًا كانت المحذورات فيما يثبته أعظم وأعظم؛ لأن الإثبات إذا قلَّ قلت صفات الكمال له"(٢).

فالتعرف على بطلان مذهب المعتزلة في الصفات من الأمور التي لا تحتاج إلى تبحرٍ في العلم ودقةٍ في الفهم، بقدر ما تحتاج إلى تصورٍ صحيحٍ إلى الشبهات التي أقام عليها هذا المذهب تعطيله لصفات الباري ﷻ، فإنَّ التصور الصحيح؛ لهذا المذهب وأمثاله من مذاهب المعطلة كاف في بيان بطلانها وتهافتها.

وبذلك يكون المعتزلة قد فروا من التشبيه والتجسيم؛ فوقعوا في التعطيل، والحق إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ فيما صح عنه، مع فهم المعنى وتفويض علم الكيفية الله تعالى، وهذا منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: "السلف فوضوا إلى الرب علم كيفيتها، كما قال مالك، وربيعة: الاستواء معلوم والكيف مجهول...وأمَّا فهم معناها وتفسيرها فلم يكن السلف ينكرونه، ولا كانوا ينكرون التأويل بهذا

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام، محمد الشهرستاني، ص١٠٩.
(٢) تلبيس الجهمية،٢/١٠.

المعنى، وإنَّما كانوا أنكروا تأويلات أهل التعطيل التي هي: تحريف الكلم عن مواضعه، فكانوا ينكرون على من يتأول القرآن على غير تأويله"[1].

فهذا مذهب السلف في صفات الله ﷻ، وهو المذهب الأوسط من غير تشبيهٍ ولا تمثيلٍ ولا تكييفٍ ولا تحريفٍ فيها.

ونختم قولنا في هذا المبحث بما أورده ابن تيمية رحمه الله عن الرازي والذي يحكي خلاصة اللوثة العقلية التي اعتمدها المتكلمون في استدلالهم لتقرير العقائد قال رحمه الله: "لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن"[2].

فهذا نتيجة من نتائج التوغل في العلوم غير الإسلامية، وتنظير ما فيها على العلوم الإسلامية بشهادة أصحابها.

وحسبنا أن نقف في أمور العقائد على ما بينه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وأن لا نحيد عنهما، وأن يكون مجال إعمال العقل فيها على ما أرشد الوحيان، من إعماله دون خوض العقل بأمور لم يأمر الوحيان بإعماله فيها؛ لأنها فوق إدراكه وعلمه.

(١) بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، ٨/٥٤٥.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية،١٨/٥٦٢.

الخاتمة

فقد تم بفضل الله وتوفيقه تمام البحث، وأسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت؛ في بيان أثر الفلسفة على فكر المتكلمين في مجال العقائد، بشكلٍ واضحٍ ومبسطٍ، فما كان من خير في هذا البحث فمن الله تعالى وبفضله وتوفيقه، وما كان من زلل؛ فمني ومن الشيطان.

وأختم بحثي بما توصلت إليه من نتائج وتوصيات:

أولا: النتائج:

١-أنَّ هناك فرقًا شاسعًا بين علم الكلام والفلسفة، فعلم الكلام ينطلق من العقيدة الإسلامية، أما الفلسفة فتنطلق من العقل.

٢-أنَّ الفلسفة دخلت في علوم وكتب المتكلمين دخولا جوهريا وجعلت جل مباحثهم مباحث فلسفية بحته.

٣-أن الفلسفة أثرت على المتكلمين في مجال العقائد تأثيرًا جعل المتكلمين يسلكون مسلك الفلاسفة في تقريرها بعيدًا عن نصوص الوحيين.

٤-أنَّ مقالة المتكلمين بحدوث العالم هي مقالة فلسفية بحته وقد تأثروا فيها بمذهب (ديموقريطس) الفلسفي.

٥-أنَّ دليل الجواهر والأعراض الفلسفي هو أحد أهم الطرق والدلائل لدى المتكلمين في إثبات وجود الله ﷻ.

٦-أنَّ المتكلمين استندوا في أدلتهم على إثبات وجود الله ﷻ الى مذهب وفلسفة (جالينوس).

٧-أنَّ فلاسفة الإسلام أخذوا دليل المتكلمين في إثبات وجود الله ﷻ اللذين بدورهم- المتكلمين- استقوه من تراث الفلسفة اليونانية.

٨-أنَّ الأثر اليوناني واضح على آراء المتكلمين وخصوصًا المعتزلة في الصفات الإلهية.

٩-أنَّ المعتزلة أخذوا مقالتهم في الصفات من الفيلسوف اليوناني (ارسطوطاليس)، وتأثروا

بأقواله.

١٠-أدى أخذ المتكلمين لمسالك الفلاسفة في الصفات الالهية إلى التعطيل المحض لصفات الباري جل وعلا.

ثانيًا: التوصيات:

-أنَّ تكون هناك دراسة متخصصه للأثر الفلسفي على المتكلمين في مجال العقائد تحديدًا، وأن تعنى كل فرقة من الفرق الكلامية بدراسة تفصيلية لهذا الأثر؛ لأن الفرق الكلامية تختلف مقالاتها في بعض المسائل ولا ننكر غياب الأثر الفلسفي عنها.

-أنَّ من يبحث في عقائد المتكلمين حسن أن يبين نظير تبيينه لعقائدهم، أنها مستقاة من الفلاسفة الملحدين ومقولاتهم، حتى يتفطن القارئ إلى أصل شبهتهم الفاسدة.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

أولا: الكتب العلمية:

١. **النبوات**، تقي الدين أحمد بن تيمية، ت:دعبدالعزيز بن صالح الضويان، ط٢، ١٤٢٧هـ

٢. **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ت:رشيد حسن، مكتبة الملك فهد الوطنية، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ

٣. **نهاية الإقدام في علم الكلام**، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، ت: الفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٣٠هـ

٤. **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،١٤٢٤هـ، المدينة المنورة.

٥. **رسالة الى أهل الثغر**، أبو الحسن الأشعري، ت:عبدالله شاكر الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنور، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٦. **ابن تيمية السلفي نقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات**، محمد خليل هران، المطبعة اليوسفية، طنطا، ط١، ١٣٧٢هـ.

٧. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ت:محمد رشاد سالم، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ

٨. **المواقف**، عضد الدين عبدالرحمن الإيجي، ت: د. عبدالرحمن عميرة دار الجيل، بيروت، ط١٩٩٧،١م.

٩. **شرح الأصول الخمسة**، عبدالجبار بن أحمد، ت: عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط٣، ١٤١٦هـ.

١٠. **غاية المرام في علم الكلام**، علي بن أبي علي الآمدي، ت: حسن محمود عبداللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،١٣٩١هـ.

١١. **في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقة**، إبراهيم مدكور، دار المعارف.

١٢. **المدخل لدراسة علم الكلام**، د.حسن الشافعي، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية،

ط٢، ١٤٢٢هـ.

١٣. **أثر الفلسفة اليونانية في علم الكلام الإسلامي حتى القرن السادس الهجري**، د.محمود محمد نفيسة، دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ.

١٤. **الحيوان**، عمر بن بحر الجاحظ، ت: عبدالسلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٣٨٥هـ.

١٥. **ضحى الإسلام**، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،٢٠١٢م.

١٦. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، علي بن إسماعيل الأشعري، ت: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٨هـ

١٧. **الفرق بين الفرق**، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع،٢٠٠٩م.

١٨. **الفكر الفلسفي الإسلامي**، د. صبري محمد خليل، دار جامعة الخرطوم للنشر.

١٩. **التعريفات**، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ

٢٠. **ما هي الفلسفة**، د. حسين علي، دار التنوير، ٢٠١١م.

٢١. **لسان العرب**، جمال الدين بن منظور الانصاري، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢٢. **الملل والنحل**، محمد عبدالكريم الشهرستاني، ت: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٢٣. **مباحث في علم الكلام والفلسفة**، د. علي الشيباني، دار بو سلامة، ط١.

ثانيًا: الأبحاث العلمية على المنشورة على الشبكة العنكبوتية:

١-**تحقيق الكلام في قدم العالم وحدوثة بين الفلاسفة والمتكلمين**، أحمد التل، ماجستير في العقيدة والفلسفة والأديان، ٢٠٠٩م. بحث منشور على الرابط الإلكتروني التالي: http://t1t.net/researches/phals/1.pdf .

٢-**الصفات الإلهية عند المعتزلة مفهومها وسبب تأويلها**، أبو الحسين العدني، بحث منشور على الرابط الإلكتروني التالي: http://www.ahlalhdeeth.com/ .

فهرس محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
أهمية وأسباب اختيار الموضوع:	١
حدود البحث	٢
الدراسات السابقة	٢
منهجي في البحث	٢
تقسم البحث	٣
التمهيد ويشتمل على: التعريف بمصطلحات عنوان البحث:	٥
أولًا: التعريف بالفلسفة.	٥
ثانيًا: التعريف بعلم الكلام.	٥
المبحث الأول: لمحة تاريخية بين الفلسفة وعلم الكلام:	٧
المطلب الأول: الفرق بين الفلسفة وعلم الكلام.	٨
المطلب الثاني: عوامل تأثير الفلسفة في علم الكلام وظهور علم الكلام الفلسفي.	١١
المبحث الثاني: أثر الفلسفة على المتكلمين في مجال العقائد:	١٥
المطلب الأول: أهم المسائل الاعتقادية عند المتكلمين وتأثير الفلسفة فيها.	١٦
المطلب الثاني: نقد أدلة المتكلمين في مسائل الاعتقاد.	٢٤
الخاتمة وتشتمل على:	٢٨
-النتائج.	٢٨
-التوصيات.	٢٩
المصادر والمراجع.	٣٠
فهرس محتويات البحث	٣٢